

## كتاب النية والاخلاص والصدق

### ﴿ فضيلة النية ﴾

قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ وقال تعالى ﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ والمراد بتلك الإرادة هي النية وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى مِنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ أَمْرَأَةٍ يَبْتَغِيهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ﴾ وفي حديث أنس بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال ﴿ إِنْ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَاقَطَعْنَا وَاذِيًّا وَلَا وَطْئَنَا مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا أَنْفَقْنَا نَفَقَةً وَلَا أَصَابْنَا مَحْمَصَةً إِلَّا شَرِكُونَا فِي ذَلِكَ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ﴾ قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وَلَيْسُوا مَعَنَا قَالَ ﴿ حَبَسَهُمُ الْعَذْرُ ﴾ فشرکوا بحسن النية وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ ﴾ وفي حديث أبي هريرة ﴿ مَنْ تَزَوَّجَ أَمْرَأَةً عَلَى صِدَاقٍ وَهُوَ لَا يَنْوِي أَدَاءَهُ فَهُوَ زَانٍ وَمَنْ آذَانَ دِينًا وَهُوَ لَا يَنْوِي قَضَاءَهُ فَهُوَ سَارِقٌ ﴾ \*

### ﴿ تفضيل الاعمال المتعلقة بالنية ﴾

اعلم ان الاعمال تنقسم الى ثلاثة أقسام طاعات ومعاص ومباحات ( فأما المعاصي ) فلا تتغير عن موضعها بالنية أعني ان المعصية لا تنقلب طاعة بالنية

كالذي يقتاب انسانا مراعاة لقلب غيره أو يطعم فقيراً من مال غيره أو يبنى مدرسة أو مسجداً بمال حرام وقصده الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في اخراجه عن كونه ظلماً وعدواناً وممحصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر فان عرفه فهو معاند للشرع وان جهله فهو عاص بجهله إذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات انما يعرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن أن يكون الشر خيراً هيئات ولذلك قال سهل رحمه الله تعالى ما عصى الله تعالى بمحصية أعظم من الجهل قيل يا أبا محمد هل تعرف شيئاً أشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لأن الجهل بالجهل يسد بالكفاية باب التعلم فمن يظن بنفسه أنه عالم فكيف يتعلم وكذلك أفضل ما أطبع الله تعالى به العلم ورأس العلم العلم بالعلم كما أن رأس الجهل الجهل بالجهل وقد قال تعالى ﴿ فاسألوا أهل الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ \*

نعم للنية دخل في المعاصي وهو أنه إذا انضاف اليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها \*

( القسم الثاني الطاعات ) وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها وفي تضاعف فضلها أما الأصل فهو أن ينوى بها عبادة الله لا غير فان نوى الرياء صارت معصية وأما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن أن ينوى بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب إذ كل واحدة حسنة ثم تضاعف كل حسنة بمشراً أمثالها كما ورد ومثاله القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن أن ينوى فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل

أعمال المتقين ( أولها ) أن يعتقد أنه بيت الله وأن داخله زائر الله \*  
 ( ثانيها ) أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في صلاة \*  
 ( ثالثها ) الترهيب بكف السمع والبصر والأعضاء عن الحركات والترددات  
 ( رابعها ) عكوف الهم على الله ولزوم السر للفكر في الآخرة ودفْع الشواغل  
 الصارفة عنه بالاعتزال الى المسجد ( خامسها ) التجرّد لذكر الله أولاً سماع  
 ذكره والتذكّر به ( سادسها ) أن يقصد افادة العلم بأمر معروف ونهى  
 عن منكر اذ المسجد لا يخلو عن يسىء في صلاته أو يتعاطى ما لا يحل له فيأمره  
 بالمعروف ويرشده الى الدين فيكون شريكاً معه في خيره الذي يُعَلم منه  
 فتمضاعف خيراته ( سابعها ) أن يستفيد أخا في الله فان ذلك غنيمة  
 وذخيرة للدار الآخرة . والمسجدُ مهشش أهل الدين المحبين لله وفي الله \*  
 ( ثامنها ) أن يترك الذنوب حياء من الله تعالى وحياء من أن يتعاطى في  
 بيت الله ما يقتضى هتك الحرمه - فهذا طريق تكثير النيات وقس به سائر  
 الطاعات اذ ما من طاعة الا وتحتمل نيات كثيرة وانما تحضر في قلب  
 العبد المؤمن بقدر جده في طلب الخير وتشمره له - فهذا تزكو الأعمال  
 وتضاعف الحسنات \*

( القسم الثالث المباحات ) وما من شئ من المباحات الا ويحتمل نية  
 أو نيات يصير بها من محاسن القربات كالتطيب مثلاً فانه بقصد التلذذ والتنعم  
 مباح . وأما اذا نوى به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وترويج  
 جيرانه ليستر يحوا بروائحهم . ودفْع الرائحة الكريهة عن نفسه التي تؤدى الى

ايداء مخالطيه . وزيادة فطنته وذكائه ليسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر  
 فهذا وأمثاله من النيات الحسنة التي لا يهجز عنها من غلب طلب الخير على  
 قلبه مما ينالها معالي الدرجات . وأما من قصد بالتطيب اظهار التفاخر  
 بكثرة المال أو رياء انطلق ليدكر بذلك أو ليتودد الى قلوب النساء الأجنبية  
 أو لغير ذلك فهذا يجعل الطيب ممصية ويكون في القيامة أنتن من الجيفة  
 والمباحات كثيرة لا يمكن احصاء النيات فيها فقس بهذا الواحد ما عداه .  
 ولهذا قال بعض السلف ( إني لأستحب أن يكون لى فى كل شىء نية حتى  
 فى أكلى وشربى ونومى ودخولى للخلاء ) وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به  
 التقرب الى الله تعالى لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من  
 مهمات البدن فهو ممين على الدين . فمن قصد من الأكل التقوى على  
 العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطيب قلب أهله والتوصل به الى ولد صالح  
 يعبد الله تعالى بعده كان مطيعا بأكله ونكاحه وبالجملة فإياك ثم إياك أن  
 تستحقر شىء من حركاتك فلا تحترز من غرورها وشروورها ولا تعدّ جوابها  
 يوم السؤال والحساب فان الله مطلع عليك وشهيد وما يلهظ من قول إلا  
 لديه رقيب عتيد وقد قال الحسن أن الرجل ليمتلق بالرجل يوم القيامة فيقول  
 بينى وبينك الله فيقول والله ما أعرفك فيقول بلى أنت أخذت ابنة من  
 حاطى وأخذت خيطا من ثوبى فهذا وأمثاله من الأخبار قطع قلوب  
 الخائفين فان كنت من أولى العزم والنهى ولم تكن من المفترين فانظر  
 لنفسك الآن ودقق الحساب على نفسك قبل أن يدقق عليك \*

### ﴿ فضيلة الاخلاص وحقيقتها ﴾

قال الله تعالى ﴿ وما أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾  
 وقال ﴿ أَلَا لَهُ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ وقال تعالى ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا  
 وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ وقال تعالى ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ  
 فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ وعن عليّ كرم الله  
 وجهه : لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول . فان النبي صلى الله عليه وسلم  
 قال لمعاذ بن جبل ﴿ أَخْلِصِ الْعَمَلَ يَجْزِكَ مِنْهُ الْقَلِيلُ ﴾ وقال يعقوب  
 المكفوف : المخلص من يكتف حساناته كما يكتف سيئاته \*

واعلم أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص  
 عنه سمي خالصا ويسمى الفعل المصفي المخلص اخلاصاً . والاخلاص يضاده  
 الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك إلا أن الشرك درجات وقد جرى  
 العرف على تخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى  
 عن جميع الشوائب فاذا اخرج قصد التقرب بباعث آخر من رياء أو غيره  
 من حظوظ النفس فقد خرج عن الاخلاص ومثاله أن يصوم لينتفع  
 بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب أو يجمع ليصح مزاجه بحركة السفر  
 أو يتخلص من عدو له أو يصلح بالليل لغرض دنيوي أو يتعلم العلم أو  
 يخدم العلماء والصوفية لذلك أو يهود مريضاً ليعاد اذا مرض أو يشيع جنازة  
 ليشتيع جنازة أخيه أو يفعل شيئاً من ذلك ليصرف بالخير ويذكر به وينظر اليه  
 بسين الصلاح والوقار فهما كان باعثة التقرب الى الله تعالى ولكن انضاف

اليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور فقد خرج عمله عن حدّ الاخلاص وخرج عن أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى وتطرق اليه الشرك \* وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح اليه النفس ويميل اليه القلب قلّ أم كثر اذا تطرّق الى العمل تكدر به صفوه وزال به اخلاصه فان اخلاص من العمل هو الذي لا باعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى وهذا لا يتصور إلا من محب لله لم يبق له حب الدنيا في قلبه قرار ولذا كان علاج الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذا ذلك يتيسر الاخلاص وكمن أعمال يتعب الانسان فيها ويظن أنها خالصة لوجه الله ويكون فيها مغروراً لأنه لا يرى وجه الآفة فيها فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق والا التحق باتباع الشياطين وهو لا يشعر \*

### ﴿ فضيلة الصدق ودرجاته ﴾

قال الله تعالى ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ إِنْ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَالْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا ﴾ \*

والصدق درجات ( الأولى صدق اللسان ) وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم إلا بالصدق وكال صدق القول الاحتراز عن

المماريض فقد قيل في المماريض مندوحة عن الكذب وذلك لأنها تقوم  
 مقام الكذب إلا أن ذلك مما تمس إليه الحاجة وتقتضيه المصاححة في بعض  
 الأحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الخذر عن  
 الظلمة وفي قتال الأعداء والاحتراز عن اطلاعهم على الأسرار . فمن اضطر  
 الى شئ من ذلك فصدقه فيه أن يكون نطقه فيه لله فيما يأمره الحق به  
 ويقتضيه الدين فإذا نطق به فهو صادق وإن كان كلامه مفهما غير ما هو  
 عليه لأن الصدق ما أريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء اليه فلا ينظر  
 الى صورته بل الى معناه . نعم في مثل هذا الموضع ينبغي أن يمدل الى  
 المماريض ما وجد اليه سبيلا . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توجه  
 الى سفر ورى بغيره . وذلك كي لا ينتهي الخبر الى الأعداء فيقتصد .  
 وليس هذا من الكذب في شئ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ليس  
 بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو أنى خيرا ﴾ ورخص في  
 النطق على وفق المصاححة في ثلاثة مواضع . من أصلح بين اثنين . ومن كان  
 له زوجتان . ومن كان في مصالح الحرب . والصدق ههنا يتحول الى النية فلا  
 يراعى فيه إلا صدق النية واردة الخير ( فمهما صح قصده وصدق نيته  
 وتجردت للخير ارادته صار صادقا وصديقا كيفما كان لفظه ) ثم التعريض فيه  
 أولى وطريقه ما حكى عن بعضهم أنه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره  
 فقال لزوجه خطي بأصبعك دائرة وضعي الأصبع على الدائرة وقولي ليس  
 هو ههنا . واحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله

صدقا وأفهم الظالم أنه ليس في الدار . وهذا الذي ذكرناه من الاحتراز عن صريح اللفظ وعن المعارض الا عند الضرورة هو الكمال الأوّل في صدق القول . وهناك كمال ثانٍ وهو أن يراعى معنى الصدق في ألفاظه التي يناجي بها ربه كقوله ﴿ وَجَهَّتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ فان قلبه ان كان منصرفا عن الله تعالى مشغولا بأمانى الدنيا وشهواته فهو كذب . وكقوله ﴿ اِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ وكقوله أنا عبد الله فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا . ولو طواب يوم القيامة بالصدق في قوله أنا عبد الله لمجز عن تحقيقه فانه ان كان عبدا لنفسه أو عبد الدنيا أو عبدا لشهواته لم يكن صادقا في قوله . ( وكل ما تقيد العبد به فهو عبد له ) كما قال صلى الله عليه وسلم ﴿ تَعَسَّ عَبْدُ الدَّيْنَارِ تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهَمِ وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ ﴾ سعى كل من تقيد قلبه بشئ عبدا له وانما العبد الحق لله عزّ وجلّ من أعتق من غير الله تعالى واشتغل بالله وبمحبته وتقيد ظاهره وباطنه بطاعته فلا يكون له مراد إلاّ الله تعالى \*

( الدرجة الثانية ) الصدق في النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو أن لا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلاّ الله تعالى فان ما رجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية \*

( الثالثة ) صدق العزم وهو الجزم فيه بقوة والصادق فيه هو الذي تصادف عزيمته في الخيرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه أبدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات كمن يقول ان

رزقني الله مالا تصدقت بشره وان أعطاني الله ولاية عدت فيها ولم  
أعص الله تعالى بظلم ومييل الى خلق فصدق هذه العزيمة هو سخاء  
نفسه بما نوى \*

( الرابعة ) في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا  
مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن  
وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا  
يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله تعالى ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ  
عَلَيْهِ ﴾ فقد روى عن أنس ان عمه أنس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال أول مشهد شهده رسول  
الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه أما والله لئن أراني الله مشهدا مع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع قال فشهد أحدا في العام القابل فاستقبله  
سعد بن معاذ فقال الى أين فقال واهاً لريح الجنة أنى أجد ريحها دون أحد  
فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين رمية وضربة وطعنة  
فقال أخته ما عرفت أخى الا بثيابه فتزات هذه الآية ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا  
عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ \*

وقال مجاهد : رجالان خرجا على ملأ من الناس فعود فقالا ان رزقنا  
الله تعالى مالا لنصدقن فبخلوا به فتزات ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا  
مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ  
وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا

اللَّهِ مَا وَعَدَوْهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٦٥﴾ فجعل العزم عهداً وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا \*

(الخامسة) الصدق في الاعمال وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو به فمن وقف على هيئة الخشوع في صلاته لا يراى غيره ولكنه في الباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته فهو كاذب بلسان الحال في عمله غير صادق فيه فالصدق فيه هو استواء السريرة والعلانية بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيراً من ظاهره \*

إذا السر والاعلان في المؤمن استوى فقد عز في الدارين واستوجب الثنا فان خالف الاعلان سرًا فاله على سعيه فضل سوي الكد والعناء ثم درجات الصدق لانهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض فان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا \*

## كتاب المحاسبة والمراقبة

### ﴿ بيان لزوم المحاسبة ﴾

قال الله تعالى ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنْى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فِى قُرْآنٍ مُبِينٍ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ وقال تعالى ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم